

الخصائص

بخواطيرهم وموادٍ > كَمهم على عمله وترتيبه وقسمة أنحاءه وتقديمهم أصوله وإتباعهم إيَّاهها فروعَه وكذا ينبغي أن يُعتقد ذلك منهم لِمَا نذكره آنفا فهو مَفْخَر لهم ومَعْلَمٌ من معالم السِّدادِ دلٌّ على فضيلتهم .
والذي يدلُّ على أنهم قد أحسُّوا ما أحسنا وأرادوا وقصدوا ما نسنا إليهم إرادته وقصدَه شيئان أحدهما حاضر معنا والآخر غائب عنا إلا أنه مع أدنى تأمُّل في حكم الحاضر معنا .

فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها وتُضطرُّ إلى معرفته من أغراضها وقُصودها من استخفافها شيئا أو استنقاله وتقبُّله أو إنكاره والأُنزُس بهِ أو الاستيحاِش منه والرضا بهِ أو التعجُّب من قائله وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقُصود بل الحالِفةِ على ما في النفوس ألا ترى إلى قوله .

(تقول وصدَّت وجهَها بريمينها ... أبعِليَ هذا بالرحى المتقاعسُ) .

فلو قال حاكيا عنها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس من غير أن يذكر صدَّت الوجه لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجِّبة منكِّرة لكنَّه لمَّا حكى الحال فقال وصدَّت وجهها عُلِمَ بذلك قوَّة إنكارها وتعاطُّم الصورة لها هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غيرُ مشاهد لها ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ولِعظم الحال في زَفْس تلك